وكيف نسيتِ الذي كان فيكِ ... من العزِّ والكرمِ الأرحَبِ
فإنْ تَكُ يا واحداً في الزَّمانِ ... ذهبتَ ففضلُكَ لم يذْهَبِ
وإنْ حجَّبوكَ بنسجِ الصَّفيحِ[1] ... فغُرُّ مساعيكَ لم تُحْجَبِ
فلا خيرَ بعدَكَ في الطيباتِ ... فما العيشُ بعدكَ بالطَّيِّبِ
حرامٌ عليَّ اكتسابُ الإخاءِ ... فمِثْلُ إخائِكَ لم أكْسِبِ

من أبيات طويلة.

السنة الثامنة وأربع مئة

فيها ورد كتاب سلطان الدولة بتوجُّهه إلى العراق، كان قد مضى إلى فارس، وبعث عساكره إلى كرمان، وهرب أخوه أبو الفوارس إلى شمسِ الدولة بعد أن تمزَّقَتْ أموالُه،و تفرَّقَتْ عنه جندُهُ ورجالُه، فأحسن إليه شمسُ الدولة، وزوَّجه ابنتَه، وانتقل إلى حسام الدولة بن أبي الشوك، فنزل عليه، وراسل الغِلْمان ببغداد واستمالَهم، فأجابه البعضُ، وأخرج المناصحُ أبو الهيجاء والسعيدُ أبو طاهر والأتراكُ خيمَهم إلى المُصلَّى ليقصدوا ابنَ أبي الشوك، ويدفعوا أبا الفوارس، وكان أبو منصور [مَرْدُوست ببغداد، فكاتبه أبو الفوارس، وطلبه إليه، فخرج إليه، واجتمع معه عند أبي الشوك، وتقرَّر الحال على أن ينحدر أبو الفوارس إلى البَطيحة وينحدر أبو منصور] إلى الأهواز، ويصالح بينه وبين أخيه سلطان الدولة وإعادته إلى كرمان، وسار أبو الفوارس إلى البَطيحَة، فالتقاه مُهذَّب الدولة، وأكرمه، وأنزله معه في داره، وحمل إليه من الأموال واللطائف[2] والهدايا شيئاً كثيراً، وتوجَّه مَرْدُوست إلى الأهواز، ووفَّق[3] بين سلطان الدولة وأخيه، واستخلص له كرمان، وحمل إليه سلطانُ الدولة من الأموالِ والثيابِ والخيمِ وغيرِها شيئاً كثيراً.

(١) الصَّفيح: وجه كل شيء عريض. المعجم الوسيط (صفح).
(٢) في (خ): والألطاف، والمثبت من (ف).
(٣) في (ف): وفرَّق!

ومضى أبو الفوارس إلى كرمان، وزالت الوحشة، ولمَّا عاد من كرمان تلقَّاه الأوحد الوزير، وترجَّل له، فأعظم ذلك مَرْدُوست، ثم أنزله داراً فيها أنواع الثياب والآلات، وسيَّر إليه المالَ والخيلَ والبغالَ والخِلَعَ السنيَّة والمراكبَ عليها الذَّهبُ، وانصرف مَرْدُوست داعياً، وفي نفس الأوحد منه؛ لكونه ردَّ أبا الفوارس إلى كرمان، وتوسَّط له بها.

وفيها عقد سلطان الدولة على جبارة بنت معتمد الدولة أبي المنيع في دار المملكة ببغداد، بوساطة أبي منصور مَرْدُوست، على صَداقٍ مبلغُه خمسون ألف دينار[1]، وحضر القضاةُ والأشرافُ. وقيل في الخطبة: وهذا الأمير الأجلُّ معتمد الدولة، ذو العزِّ، ابن ناصر الدولة[2]، أبو المَنيع قِرْواش، ممَّن رغب إليه مولانا شاهنشاه ملك الملوك عمادُ الدين سلطانُ الدولة في تشريفه بقبول عقدٍ لنفسه الكريمة على الحرة جبارة بنت أبي المنيع، فكرَّمه وحباه، وأهَّلَه لذلك، واصطفاه بقبول هذا العقد، ونَحَلَها من العين كذا كذا، فهنيئاً للأمير بهذه النعمةِ التي أُلبِسَها، والرتبة التي ارتقاها، والدرجةِ التي علاها، قرن الله ذلك بالحَبْرَةِ التامة، والسعادة العامة، إن شاء الله تعالى.

وفيها سار أبو الحسن بن مَزْيَد إلى نواحي الطِّيب ليقصد سلطان الدولة بالأهواز، فمرض، فكاتبَ الأميرَ وأبا الخطاب في ولاية العهد لابنه دُبَيس على أعماله، وبعثَ بالكتاب مع دُبَيس، فأجابه إلى ذلك وخلع عليه، وكتب له المنشور بالولاية، ومات أبو الحسن في ذلك الوجه في شوال، وولي دُبيس[3].

وفيها استتاب القادرُ بالله أهلَ البدع والأهواء من المقالات الفاسدة، ونهى عن المناظرة والجدال في علم الكلام، وما يتعلَّق بالمذاهب الخارجة عن الإسلام، وأخذ خطوطَهم بذلك، وأنهم متى عادوا حلَّت دماؤهم، وبلغ محمود بن سُبُكْتِكين، ففعل في بلاده مثل ذلك، نفى المشبِّهةَ والجهميةَ وغيرَهم، وأمرَ بلَعْنِهم على المنابر، وصار ذلك سنةً في الإسلام.

---

(١) الخبر إلى هنا في المنتظم ١٥/ ١٢٦.

(٢) في (خ): الدين، والمثبت من (ف).

(٣) الخبر في المنتظم ١٥/ ١٢٧.

وفيها عزلَ الحاكمُ صاحبُ مصر سهمَ الدولة سُبُكْتِكين عن دمشق، [وكان قد ولَّاه إيَّاها في سنة ستٍّ وأربع مئة]، وكان ظالماً غشوماً فاتكاً، وهو الذي بنى جسر الحديد تحت قلعة دمشق على بردى، سخَّرَ الناسَ فيه، وأخذَ أموالهم، فكتب الناس[1] إلى الحاكم يشكونه، واتَّفق أنَّ يوم فراغ الجسر قال: لا يَعْبُرْ غداً أحدٌ عليه. فلمَّا أصبحَ جلس على باب القلعة ينظر إليه، وقد عزم على أن يكون أولَ مَنْ يركب ويعبُرَ عليه، وإذا بفارس قد أقبل فعبر عليه، فأنكره[2]، وقال: مِنْ أينَ؟ قال: من مصر. وناوله كتاب الحاكم بعزلِه وظلمِه، فقال [أحمد بن عبيد الله] الماهر: [من مجزوء الرمل]

عقَدَ الجسرَ وقد حَلَّ عُراهُ بيديهِ
ما درى أنَّ عليهِ يعبرُ العزلُ إليهِ

[ولم أقف في هذا الباب على أحسن من هذين البيتين، ولا أرشق من هذين الشّكلين].

ولم يحجَّ أحدٌ إلى سنة اثنتي عشرة.

وفيها توفِّي

شباشي السعيد

ويُكنَّى أبا طاهر المُشطَّب مولى شرف الدولة [أبي الفوارس] بن عضد الدولة، ولقَّبَه بهاءُ الدولة بالسعيد ذي الفضيلتين، ولقب أبا الهيجاء بخُتَكين [الجرجاني] بالمناصح، وأشرك بينهما في مراعاة أمور الأتراك ببغداد، وكان السعيد [سعيداً ـ كما سُمِّي ـ] كثيرَ الصدقات، فائضَ المعروف، [كثيرَ] الإحسان، حتى إنَّ أهل بغداد إذا رأوا مَنْ لبس قميصاً جديداً قالوا: رحمَ اللهُ السعيد؛ لأنه كان يكسو اليتامى [والمساكين] والضعفاء، وهو الذي بنى [قنطرة العراق و] قنطرة الخندق عند باب حرب، والياسرية والزياتين وغيرها، وكان الناس يَلْقَون منها شدة، وأخرج الإسفهسلاريةُ يومَ العيد الجنائبَ بمراكب الذهب، وأظهروا الزينة، فقال [له] بعض أصحابه: لو كان لنا شيءٌ أظهرناه. فقال [له] السعيد: إنه ليس في جنائبهم قنطرة الخندق والياسرية والزياتين.

---

(١) في (م) و (م١): فكتب أهل دمشق.

(٢) في (خ): فأنكروه، والمثبت من باقي النسخ.

ووقف قنطرةً كبيرةً بنهر عيسى بالعراق ـ يُقال لها: دباها ـ على المارستان العضدي، وارتفاعها في كل سنة أربعون كُرًّا وألفُ دينار، ووقف على الجسر خانَ النَّرسي بالكَرْخ، وضيعةً بالقُفْص، وسدَّ بَثق الخالص، وحفر ذُنابة[1] دُجَيل، وساق الماء منها إلى مقابر قريش، وعمل المشهد بقرب واسط، وحفر عنده المصانع، وله آبار كثيرة بطريق مكة، وكانت وفاتُه في شوال، ودُفِنَ بباب حرب، وتربتُه مشهورةٌ قريبةٌ من الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، وتُزار كثيراً [ويُتبرَّكُ به]، وأوصى أن لا يبنوا عليه شيئاً، فخالفوه، وبنَوا عليه قبةً مزاراً، وسقطت[2]، واتَّفق أنَّ بعد مدةٍ من وفاته حُمِلَتْ جنازةٌ، فدخلت عجوزٌ إلى قُبَّة السعيد [وقت الحرِّ]، ومعها نساء يطلُبْنَ الظِّلَّ، فلطَمْنَ ونِمْنَ في التربة، فانتبهتِ العجوزُ مذعورةً، وقالت: رأيتُ تركيًّا خرج من هذا القبر وبيده دبُّوسٌ، فأراد أن يضربني، وقال: بيني وبينكنَّ قرابةٌ [حتى أتيتنَّ من القصد] إلى عندي أنتِ وصواحِبُكِ توذونني؟ [فسألوا عن التربة، فقالوا: هي للسعيد]، فتجنَّبها النساء بعد ذلك [اليوم].

وكان يحصل له من إقطاعه في كل سنة مئة ألف دينار، فينفِقُها في أبواب الخير والبر، وأغنى فقراء الحرمين وغيرهم.

[قال هلال بن الصابئ]: وتُوفِّي يوم السبت التاسع من شوال، فاحتاط مؤيَّد الملك [أبو علي] على تركته للسلطان، وحضر للصلاة عليه [مؤيدُ الملك] والقضاةُ والأشرافُ والعدولُ، ولم يتخلَّف أحدٌ [وذكر من مناقبه ما ذكرنا وقال]: وكان بينه وبين المناصح أبي الهيجاء الجُرجاني تباعدٌ، فقعد في العزاء، فلمَّا فرغ العزاء وقام، قال: واللهِ لقد فَتَّ فَقْدُ هذا الرجل في عضُدي، وهَدَّ رُكني، وخُيِّلَ إليَّ أني لاحقٌ به. فعاش بعده ستة أشهر.

[قال]: وكان المناصح [هذا] من رجال الزمان وعقلائهم، ومن أعلاهم همةً، [و] لم يخلف مثله في علوِّ الهمَّة وشدة الهيبة [وكان شجاعاً مطاعاً مهيباً ذا همةٍ عالية]، ولو تُصفِّحَ كلامُه ما كان فيه سقط.

---

(١) الذُّنابة: ذَنَبُ الوادي، ومِسِيلُ الماء بين التَّلْعتين.

(٢) في(م) و (م١): وهي تسقط.

[وفيها تُوفِّي

خلف بن محمد[١]

ابن القاسم بن عبد السلام بن مُحْرِز، أبو القاسم، العبسي، قاضي داريا، كان حسن السيرة، عفيفاً، زاهداً، مات بداريا، سمع أبا الحسن ابن حذلم وغيره، وكان ثقةً].

محمد بن إبراهيم[٢]

ابن محمد، أبو الفتح، الطَّرَسوسي، المجاهد في سبيل الله، استوطن البيت المقدس بنيَّة الرباط، وتوفِّي به، وكان صالحاً ثقةً.

السنة التاسعة وأربع مئة

فيها في المُحرَّم سار أبو محمد بن سهلان من الأهواز متوجِّهاً إلى العراق ليُدبِّر الأمورَ، وسببُه أنَّ سلطان الدولة لمَّا حصل بالأهواز عظُمَ أمرُ العيَّارين ببغداد وواسط، وتجاوزوا الحدَّ، وأحرقوا بغداد، ونهبوا دار المملكة، وأخذوا الأموال، وسبَوا الحريم، ووقع بين السنة والشيعة وقعاتٌ، فَنِيَ من الفريقين خلقٌ كثيرٌ، وكذا بواسط، فاحتاج سلطان الدولة إلى من ينفذه ليوطئ الأمور لمورده، فاستدعى مؤيَّدَ الملك إلى الأهواز، فانحدر في الماء، ودخل البَطيحَةَ والبصرةَ مجتازاً، واجتمع بأبي الخطاب، فدعاه إلى الوزارة مستقلًّا بها؛ لأنه كان قد لقي من شراسة أخلاق ابن سهلان وضعفه ما أشغله به، فامتنع مؤيَّدُ الملك، وقال: لا أصلح لها. قال: ولِمَ؟ قال: لأنها أمرٌ فيه تغرير ومخاطرة، ويحتاج إلى البطش، وابن سهلان أولى. فقال: فإذا كان الأمرُ على هذا فتعود معه إلى بغداد تتَّفِقا على التدبير. فقال: نعم، فرجع معه، وخلَعَ على ابن سهلان الخِلَعَ الجليلة، ولُقِّبَ بفلك الملك، وأُعطيَ ألفَ ألفِ درهم برسم التدبير والنوائب، ووصل إلى واسط، فقتل جماعةً من العيَّارين، فقامت الهيبةُ، والتقاه دُبَيس، فقرَّر عليه مالاً يحمله في كلِّ سنة، ودخل بغداد في ربيع الأول، وهرَّب

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ١٧-١٨.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٤١٥ - ٤١٦، وتاريخ دمشق ٥١/ ٢٣٣-٢٣٥، والأنساب ٨/ ٢٣٢.